افقه الرواية.. انها البراعم الخضراء التي انبثقت من العرق اليابس حين ضربت جذوره في عمق الأرض فاستمد نماءه منها.

فالدالية هي رمز النماء والامتداد الأخضر الذي يتماهى مع نماء الواقع الفلسطيني الجديد والطاقة الفلسطينية التي انبثقت من جفاف التاريخ فانطلقت قوة متفتحة قادرة على العطاء وضاربة جذورها في رحم الارض لتستمد منها قوتها.

انها الخيط الرمزي الذي يشد الأطراف الواقعية للرواية، والذي بدونه يفقد العمل عنصراً من أهم عناصره.

ونمو الدالية يتم بصورة لا مرئية، لا نحسها ولانشعر بها ونحن نتابع تنامي الواقع على امتداد الرواية. انها تنمو في ظل قانون التراكم الكمي، الذي تبدو كل اضافة فيه خفية، حتى نشهد التحول الكيفي في تفجر البراعم في الكلمات الأخيرة للرواية. وهكذا، تقدم الدالية دلالتها الرمزية بمحاذاة نموها مع نمو الواقع بتراكماته التي ادت إلى بروز تلك الكيفية التحولية الجديدة في الفعل الثوري الفلسطيني. وأما امتداد الدالية الذي لم تشهد عليه الرواية، فانه بغيابه يترك الاحتمالات مفتوحة أمام التاريخ. ولكن التفاؤل الذي يفيض في الرواية يدع مكاناً للحلم، فالدالية ستمتد، ومن مثالها سينمو الفعل على صعيد الواقع... ويمتد.

ونستطيع أن نلمس تفصيلاً رمزياً في رواية «عائد إلى حيفا»، وإن بدا أقل دلالة لاغترابه عن مسار الحدث الروائي الأساسي، وسقوطه في الفصل المفتعل المماثل للحدث دون أن يتداخل فيه، حيث تتفرع الرواية، دون مبرر فني، نحو حكاية «فارس اللبدة» الذي عاد الى بيته في فلسطين المحتلة ليحصل على «صورة» اخيه الشهيد التي تركها على جدار بيته حين غادره منذ عشرين عاماً. وما يهمنا هو رمزية «الصورة ودلالاتها. ما تعنيه لفارس اللبدة، وما تعنيه للعربي الذي سكن بيت اللبدة وظل مقيماً على الأرض الفلسطينية بعد احتلالها. وهنا يزدوج الرمز في الدلالة، فالصورة بالنسبة للأول هي مجرد شيء من اشيائه القديمة التي يعتز بها لأنها ترسم وجه أخيه الغائب المناضل والشهيد. لكنها بالنسبة للآخر تحمل دلالات اعمق من مجرد كونها صورة لانسان يعتز بانتمائه إليه من خلال صلة الدم. انها الجسر الذي يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، وبين النازح والمقيم. «... وحين شهدت الصورة، وجدت فيها سلوى. وجدت فيها رفيقاً يخاطبني ويتحادث إلي ويذكرني بامور اعتز بها واعتبرها اروع ما في حياتنا. قررت عندها استئجار البيت. ففي ذلك الوقت، تماما كما هو الامر الآن، يبدو لي ان يكون الانسان مع رفيق له حمل السلاح ومات في سبيل الوطن شيئاً ثميناً لا يمكن الاستغناء عنه» (ص ٣٩١ - ٣٩٢)... «... الصورة لا تحل مشكلتكم، ولكنها بالنسبة لنا جسركم الينا وجسرنا اليكم» (ص ٣٩٣).

ويتراجع المبنى الرمزي في رواية «العاشق» لحساب تصاعد الواقعية في طموحها الملحمي، دون أن ينفي ذلك امكانية الالتفات إلى تفصيل رمزي شديد الايحاء يكاد في حضوره أن يندغم مع حضور الشخصية المحورية في الرواية.